الأسس القرآنية وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع

م. م. ميسون حيدر طه الحيالي

الجامعة العراقية - كلية الآداب

المقدمة

الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم أساس عزِّنا ومصدر وحدتنا ورمز قوتنا، وأشهد أن لا إله إلا الله جعل هذا الكتاب نورًا لإصلاح الفرد والأسرة والمجتمع، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله بلّغ ما أوحي إليه وأدّى رسالة ربه حتى كان خُلُقُه القرآن، وقد أنشأ أمّةً وضعت هذا القرآن موضع التطبيق الفعلي وتخلّت عمّا سِواه من مفاسد الجاهلية وآثامها فيسّر لها –جلّ وعلا– أن تسود العالم في وقتٍ قياسيٍّ بعد أن دكّت عروش الطغاة والمفسدين وانساحت شرقًا وغربًا كأنهم في نزهةٍ إنه القرآن الكريم دستور النصرِ والتمكين وبعد...

فلقد اخترتُ موضوع الأسس القرآنية لأُسهِم عن طريق هذه الدراسة في التذكير لعل الذكرى تنفع مَن كان حيًّا للعمل تحت راية القرآن؛ وذلك بوضع أسسه وسنن الله موضع التطبيق الفعلي الذي جعله –جلّ وعلا– مبادرةً بأيدينا إذا شئنا التغيير الإيجابي، وأتمنّى أن لا أكون قد قصّرتُ في وضع بعض النقاط على الحروف وأنا أستعرض بعض السُّنن الربانيّة بالأسس القرآنية. إذ أنّ القرآن الكريم وحده غنيٌّ بمدّ الدّارسين من بحره الذي لا ينضب، وحِكَمه التي خُصّت بالتجدّد والاستمرار مع استمرار هذا الكون ومَن عليه وما به.

تتكون هذه الدراسة من مباحث أربعة بعد هذه المقدمة، وخاتمة أوجزتُ فيها بعض ما فتح الله به عليَّ وقائمة بالمصادر والمراجع التي أفدتُ منها، وقد رتبتها على حروف المعجم.

في المبحث الأول: تحدثتُ عن التعريف بالأسس القرآنية في اللغة والاصطلاح.

والمبحث الثاني: خصّصتُه للأسس بين النظرية والتطبيق على ضوء الآيات القرآنية.

أما المبحث الثالث: فذكرتُ فيه بعض الأسس القرآنية التي تهتم بإصلاح الفرد.

وكان المبحث الرابع: مَعنيًّا بالحديث عن الأسس القرآنية ودورها في إصلاح المجتمع.

أتمنّى أن أكون قد وفِقتُ لوضع أساس للدارسين بعدي للإفادة من القرآن الكريم والتفاسير القرآنية الصحيحة في رسم معالم طريق العودة إلى الإسلام خاليًا من عوائق أو عوالق لم يُنزل الله بها من سلطان.

والحـــمـــد لله رب العـــالميـــن

المبحث الأول

الأسس القرآنية في اللغة والاصطلاح

تمهـــــيد:

الأسس القرآنية: جمل قليلة المباني عظيمة المعاني يحفظ فيها المسلم الجملة المكونة من كلمتين و ثلاث أو أربع، أو أكثر بقليل، فيجد تحتها كنوزًا من الهدايات العامة الشاملة الواسعة المعنى، والتي تعالج مسائل الدين والدنيا، وترسم معالم سَير المؤمن إلى الآخرة وتضع أسس لترشيد العلاقات بين الناس، ومن فوائد هذه الأسس القرآنية:

١. ربط الناس بدستور الأمّة وكتابها الخالد في شؤونهم وأحوالهم جميعها.
٢. ترسيخ معاني القرآن الكريم في قلوب الناس، وأنها علاجٌ لجميع مشاكلهم مهما تنوعت.
٣. إن تفعيل هذه الأسس القرآنية، وتداولها على الألسن يهذب منطق الأفراد ويخلصهم مما ألفوه من الكلام المبتذل المتداول بين عامّة الناس.

يتضمن عنوان هذا البحث كلمتين: أسس و قرآنية:

أولا- الأسس:

الأسس في اللغة: الأسس، جمع، واحده أساس، والأساسُ مبتدأُ كلِّ شيءٍ، وهو أصلُ البناءِ، وأسَّستُ الدَّارَ بيَّنتُ حدودها ورفعتُ الحائط أساسه وأُسُّه، وهو واحد. (١)

الأسس في الاصطلاح: الأساسُ هو القاعدة التي يُبنى عليها، ممّا يُعدُّ قضية كلية منطبقة على جزئياتها، بمعنى: تدخل تحتها جميع أجزائها لا يَشُذُّ من ذلك شيء، لاعتمادها على النص القرآني الذي جعل لأسسه فروعًا وأبوابًا متعددة. (٢)

وبذلك يكون الأساس لغةً مقاربٌ له اصطلاحًا، ويعني القاعدة، -والله أعلم-.

ثانيا- القرآنية:

القرآنية في اللغة:

نسبة إلى القرآن الكريم المشتق من " قَرَأَ "، وأصلها كما يقول ابن فارس: ((من قَرِيَ، الذي يدل على جَمْع واجتماع... ومنه: القرآن، سمّيَ بذلك؛ لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص، وغير ذلك)).(٣) وقيل: القرآن اسم عَلَمٍ على ما أنزله -جلَّ وعلا- على رسوله ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المُطَّلب. (٤)

وإذا عُدَّ القرآن من القراءة، فهي ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، وإذا عُدَّ مصدرًا من قرأ، يقرأُ، قرآنًا، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾. [٥]

والقرآن مصدر على وزن فُعْلان، كـ الغُفْران والشُكْران، سُميَّ المقروء به تسميته للمفعول بالمصدر، وق خُصَّ القرآن بالكتاب المنزل على محمد ﷺ فصار له كالعلم الشخصي. ويطلق اسم القرآن على مجموع القرآن، وكلُّ آيةٍ من آياته.

القرآنية في الاصطلاح: ((هو كلام الله تعالى حقيقةً المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته...)).[٦]

ولهذا يُقال:

الأسس القرآنية: هي أحكام كلية قطعية مستخرجة من نصوص القرآن الكريم، بمعنى: وحكمها مقطوعٌ به، لا يتطرق إليه الظنّ لارتباطها بالقرآن مباشرة، وهي لهذا ليست من كلام المفسِّرين أو الأصوليين التي يجتهد العلماء في صياغتها وتحرير ألفاظها.

المبحث الثاني

الأسس بين النظرية والتطبيق على ضوء الآيات القرآنية

أولا- في الأساس القرآني ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[٧]

وفي هذه الآية، أو الأساس أمرٌ مخاطبة الناس بالقول الكريم الذي لا تعنيف فيه، وقد ترجمه النبي ﷺ بقوله: "... فليقل خيرًا أو ليصمت"[٨]، ومنه قوله ﷺ: " لا تحقِرنَّ من المعروف شيئًا "[٩]، "ولا تحقِرَنَّ جارة لجارتها ولو فرسن شاة "[١٠]، ومن تطبيقاتها الجميلة:

١. قوله تعالى في التعامل مع الوالدين: ﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾[١١] وهو أمرٌ يتضمن ضده، إذ المقصود عدم النهر وعدم إغلاظ القول.

٢. وفي قوله تعالى:﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾[١٢]، أمرٌ بالتلطف مع السائل، أي سائل، المحتاج ماديًّا، مالًا أيَّ مال، والسائل في طلب العلم، قال الآلوسي: ((فلا تزجره ولكن تفضل عليه بشيء أو رُدّه لقول جميل)).[١٣]

وعدَّ ابن عثيمين –رحمه الله– القول الحسن: الحسن في هيئته، والحسن في معناه: باللطف واللين، وعدم الغلظة والشدة، وأن يكون خيرًا، وكل قولٍ حسنٍ هو خير، وكل قولٍ خيرٍ فهو حسن.(١٤)

٣. ومن التطبيقات العملية لهذا الأساس قوله تعالى:﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾(١٥)، والمعنى: ((إذا خاطب الجاهلون [المؤمنين] بما يكرهونه من القول أجابوهم بالمعروف من القول والسداد من الخطاب))(١٦)، ترفعًا واستعلاءً وصيانةً للمؤمن عمَّا لا يليق به من الكلام البذيء؛ لأن المسلم أهم وأكرم وأرفع.(١٧)

وأرى أنه من اليسير الاستفادة من هذا الأساس الرائع في:

أ- كسب الناس وإنقاذهم مما أصابهم في انحرافهم عن هذا الدين الذي ارتضاه –جلّ وعلا– لهم. وفي موقف وفد نصارى نجران في مكة قبل الهجرة النبوية إلى المدينة، وردَّهم على أبي جهل(١٨)، تطبيق رائع لهذه الأخلاق القرآنية في هذا الأساس ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾. (١٩)

ب- في التعامل مع الوالدين ومَن هم في منزلتهما من أفراد الأسرة ومنهما الجدَّان

ت- وفي العلاقة بين الوالدين والأولاد.

ث- في وضعها موضع التطبيق العملي في المعاملة بين الزوجين.

ج- وفي التعامل مع الخدم، ذكورًا وإناثًا ومع العمال أو العاملين في المشاريع الخاصة والعامة.

ح- وعلى مَن ابتلى بسماع ما يكره، أن يصبر، وأن يقول خيرًا، ولا بُدَّ له من ترويض نفسه بالحلم، وأن يقابل القول البذيء بالحسن، وإلّا فإن السفه والردّ بقولٍ رديءٍ مثله، يُحسِنُهُ كل أحد، واعلم أنه:

- مَن حَسُنَ كلامه كَثُرَ مُحِبُّوه.
- وحُسنُ القول كما يكون في السؤال والخطاب والحوار، يكون في الجواب، وفي شأنك كله، ولقاء النبي ﷺ مع عتبة بن ربيعة، وإنصات النبي ﷺ لكلامه، حتى إذا فَرِغ، بادره

قائلًا: أو فرغتَ يا أبا الوليد؟! أنظر إلى النبي ﷺ، يخاطب أسوأ عدو، بما يُحبُّهُ ذلك العدوُّ اللّدود؟![٢٠].

- واعلم أنَّ حُسنُ القول يحفظ النفس والمال والوقت والجهد، ومَن جاهد نفسه على حسن القول اعتاد عليه وعُرِفَ به.[٢١] لقد كان رسول الله ﷺ يحترم خصمه ويتكلم معه بأدبٍ بالغٍ وتقديرٍ جمٍّ، ويُكنِّيه بكنيته التي يُحِبُّها. [٢٢]

ثانيا- وفي الأساس القرآني الكريم ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾.[٢٣]

إن وضع هذا الأساس موضع التطبيق يملأ القلب طمأنينةً وراحةً ورضًا، ويخلص النفس من الهمّ والحزن، وينأى بها عن القلق الذي تحوّل إلى مرضٍ أو أمراضٍ عصفت براحة الناس، لسببٍ أو لآخر من المواقف، والأقدار التي عرضت له والمؤلمة منها على وجه الخصوص، ومن هذه المواقف:

١. قصة إلقاء أم موسى لولدها **(موسى)** -عليهما السلام- في البحر وهي كارهة لا ريب في ذلك؛ لِما في إلقائه من همٍّ وقلقٍ و وساوسٍ تُزعِجها، ومن ذلك خوفها وقوعه بيد آل فرعون، مِمّا قد يجلب لها نَكَدًا، وهي لا تدري مَن أوحى لها بذلك، بل وتجهل قدرة الله تعالى التي كلأته، فكانت النهاية سارّة لأمِّه، ولأخته، وقد قرَّت به عينًا، عندما ردَّه -جلَّ وعلا- إليها ليؤكد لنا﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.[٢٤]

٢. وما جري للنبي يوسف ولأبيه يعقوب -عليهما السلام- موافق لِما جرت عليه هذه الآية؛ فقد كره يعقوب عليه السلام ما جرى بين يوسف وإخوته، وكره يوسف عليه السلام ما جرى له، لكن النهاية كانت سارّة ومرضية لكليهما، ذلك ما جرى بإذنه تعالى وتقديره، مما لا طاقة لأحد به﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾.

٣. وقد أشار عدد كبير من المفسرين إلى كره الصحابة رضي الله عنهم القتال في بدر، وكان خروجهم أولا من أجل الغنيمة **(غير ذات الشوكة)**، فلما كتب الله -جلّ وعلا- عليهم القتال، هابوه، فلما انتصروا فرِحوا لِما أصابهم من العزة والخير والهيبة.[٢٥]

٤. وكره معظم المسلمين هدنة الحديبية، وعدُّوها دَنيّة، مع أنَّ النبي ﷺ أقرّها، وفَرِح بها، ثم كانت فتحًا مبينًا. (٢٦)

والخلاصة:

على المرءِ أن يسعى إلى الخير جهده وليس عليه أن تتم المقاصد.(٢٧)

وعلى المسلم أن يتوكل على الله –سبحانه–، ويبذل ما يستطيع من الأسباب المشروعة، فإذا وقع شيءٌ على خلاف ما يحب، فليتذكر قوله تعالى ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ...﴾.

وليتذكر أن من لطف الله تعالى بعباده: ((أنه يقدِّر عليهم أنواع المصائب، وضروب المحن والابتلاء بالأمر والنهي الشاق رحمةً بهم ولطفًا وسَوقًا إلى كمالهم وكمال نعيمهم)).(٢٨)

ثالثا– وفي قوله تعالى:﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾.(٢٩)

هذا الأساس مدرسة قرآنية رائعة حريٌّ بنا أن نأخذ منها دروسًا، وعِبَر نطبقها في حياتنا ليبقى الوُدُّ، ولتُحفظ الحقوق، وتتصافى القلوب، وإلا فسنبقى نعاني ونشكوا إلى بعضنا التفكك الذي وأدَ كثيرًا من الأخلاق النبيلة، ومن ميادين تطبيق هذا الأساس:

١. حفظ الوفاء للمعلمين، وحفظ أثرهم الحسن في نفس المتعلم، ورحم الله الإمام الشافعي يوم قال: ((الحُرَّ مَن راعى وداد لحظةٍ، وانتمى لِمَن أفاد لفظةً)).(٣٠)

٢. حفظ الوداد والوفاء للجيران الذين فرقتهم الأيام، وجعل شيء من ذلك الوداد لهم، لِما أولاهم ﷺ من أهمية، إذ قال: " وجارك، ثم جارك، ثم جارك...".

٣. ولجماعة المسجد منها حظ، وللعامل، والخادم الذي أحسن في عمله نصيب، قال أحد العلماء: ((ومن بركة الرزق: أن لا ينسى العبد الفضل في المعاملة، ... بالتيسير على الموسرين، وإنظار المعسرين، والمحاباة عند البيع والشراء بما تيسر من قليل أو كثير، فبذلك ينال العبد خيرًا كثيرًا)).(٣١)

ومن الأمثلة الرائعة ما رواه الإمام البخاري من قصة وفاء النبي ﷺ للمطعم بن عديّ الذي استجار به النبي ﷺ في دخول مكة بعد رجوعه من الطائف فأجاره، ومات المطعم بن عدي مشركا، ولم ينسَ النبي ﷺ له ذلك الفضل، فقال بعد موقعة بدر سنة ٢هـ: " لو كان المُطعِمُ بن

عديٍّ حيًّا ثم كلمني في هؤلاء النّتنى لتركتهم له"[٣٢]، بمعنى: لو طلب مني تركهم وإطلاقهم من الأسر بغير فداءٍ لفعلت؛ مكافأة له على فضله السابق في قبول الجوار.

رابعا- قال تعالى:﴿ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴾.[٣٣]

قال الاصفهاني: والافتراء يطلق على معان منها: الكذب والشرك والظلم، وقد جاء القرآن بهذه المعاني الثلاث وكلها تدور على الفساد والإفساد[٣٤]، وقد أكد -جلّ وعلا- على خيبة أهل الافتراء، وأنه لن يهديهم، وأنه سوف يسحتهم بعذابه، أي: بمعنى يستأصلهم.[٣٥] ومن تلك المفتريات:

١. القول على الله تعالى بغير علم، وادِّعاء الوحي، وأنه قادر على إنزال ما أنزله -جلّ وعلا- على النبي محمد ﷺ، أو على الأنبياء والرسل من قبله، قال تعالى:﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ ﴾[٣٦] وأكد -سبحانه وتعالى- أنّ هذا الافتراء ونحوه: حرامٌ، قال تعالى:﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾.[٣٧]

٢. ويشمل هذا الأساس مَن أفتى بغير علمٍ، من حفظة النصوص، وهؤلاء لا يعدون المفترين، الذين استمرأوا الكذب على الناس فهان عندهم الكذب على الله -سبحانه-، فجاء النهي لهم مفيدًا التّبكيت والتّأنيب والتّحريم في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴾[٣٨]، وكل مَن تكلم في الشرع بغير علم فهو من المفترين، وقد نبّه كثيرٌ من العلماء إلى ذلك، فقال بعضهم: ((ليتَّقِ أحَدُكم أن يقول: أحل اللّه كذا، وحرّم كذا، فيقول اللّه له: كذبت! لم أُحلّ كذا، ولم أحرم كذا)).[٣٩]

ومن أسوأ تطبيقات هذا الأساس، ما فعله ولا زال يفعله الوضّاعون للأحاديث، أو للأقوال الفاسدة ونسبتها إلى الفقهاء أو العلماء، والأئمة الأطهار، وأسوأ ما فيها ما جاءوا به لنصرة المذاهب السياسية التي أشاعت الفرقة بين المسلمين، ويكفيه أنه يقع في دائرة **(وقد خاب**

اليوم مَن افترى)، وقد خاب من روجها ونشرها منذ كتبت إلى الآن ومَن أراد السلامة فلا يصحب المفترين، ولا يتعاون معهم، فهؤلاء لا علاقة لهم بالدّين، إلّا من باب الهدم والتّخريب، فإنّ النفرة عنهم ومقاطعتهم تُعَدُّ واجبًا.

خامسا- قال تعالى:﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌۗ﴾.(٤٠)

وللصلح دورٌ فاعلٌ في بناء المجتمع وفق أسسٍ رصينةٍ، وتدارك كل ما من شأنه العمل على تفكك المجتمع وإشاعة الفرقة فيه والاختلاف، والعمل بقوة على تحقيق الانسجام وإزالة كل ما يكدّر صفو النفوس التي لا بدّ لها من الألفة والتآلف، والتّصافي والتّسامح...

ويؤخذ من عموم هذا الأساس **(والصلح خير)** أنها جاءت في سياق الحديث عما يقع بين الأفراد، أو الجماعات من تجاوز على حقوق بعضهم البعض(٤١)، ومنها:

١. ما يقع بين الأزواج، من سوء فهم أو خطأ أو خَللٍ قد يؤدي إلى الاختلاف والافتراق، وما دام الصلح خير، فمَن يمنعه أو يسعى إلى الفرقةِ والاختلاف فقد وضع نفسه في المكان غير اللائق به.
٢. ويمكن إضافة جميع الآيات التي وردت فيها معاني الإصلاح بين الناس، ليكون التفسير من الناحية العملية أكثر دقّة، وليؤكد على إزالة كل ما من شأنه الفرقة والاختلاف أملًا في تحقيق صلح دائمٍ مستمرٍّ باقٍ... تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف.(٤٢)
٣. والصلح بين كل مَن بينهما حقٌّ ضائعٌ، **أو** منازعة في شيءٍ ما، خيرٌ من تمسك كل طرفٍ من طرفيّ النّزاع بموقفه، وتعلّقه بحقه كاملًا، ويبقى أدب المسامحة، والتواضع والتسابق في تحقيق معاني التفاضل مدعاة للوصول إلى رضا الله -جلّ وعلا- وطاعته في وضع هذا الأساس موضع التطبيق العملي، تديّنًا وترويضًا للنفس على طلب الأجر حسبةً لله تعالى.

وهكذا يكون الصلح جائزًا في الأشياء المختلف فيها كلها، إلا صلحًا أحلَّ حرامًا أو حرّم حلالًا، فهذا لا يُعَدُّ صُلحًا، ولا عدل فيه، إنما هو الظلم والجور والعدوان.

لقد أمر -جلّ وعلا- بالصلح، وعدَّه خيرًا، وما على المؤمن إلا أن يزداد طلبًا له ورغبةً فيه، وليعلم المصلحون أنهم، سيعانون كثيرًا وهم يحاولون اقتلاع ما جُبِّلت عليه النفس الإنسانية من شُحٍّ دون تريث ولا وجل للتمسك في الأقل بحقوقه كاملةً، قال تعالى: ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ

ٱلشُّحَّۚ ﴾[٤٣]، والشح: عدم الرغبة في البذل، والتقاعس عن السماحة، والرضا ببعض الحق، بلا ذلةٍ ولا مهانةٍ. [٤٤]

ولا بد للمؤمن من بذل الحقّ الذي له، واستبدال الشح بالسماحة والرضا بكل خُلُقٍ سنيّ، يزيل الخلاف بينه وبين صاحبه، وإن كانت بينهما خصومة، أو خلاف، ومنع كل ما من شأنه الاختلاف، فإن خصمه مثله في طلب التسامح والصلح، تكرمًا، واختيارًا، سهل الأمر وإلا اشتد وصعب.[٤٥]

وكما حث القرآن الكريم من الناحية التطبيقية الأفراد على الصلح، وعدّه خيرًا، فقد أكد على الأزواج، وحث على الإصلاح بين الفئتين المتقاتلتين، وأثنى على الساعين في الإصلاح، مؤكّدًا على ما أسماه القرآن الكريم ﴿ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ ﴾[٤٦]، وردَّ كثيرًا من الجهود التي لا خير فيها، ووعد، ووعده -جلّ وعلا- حقّ، بالأجر العظيم لِمَن سخّر جهوده الإصلاحية ابتغاء مرضات الله، قال تعالى:﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾.[٤٧]

ومن تطبيقات هذا الأساس، ما فعله النبي ﷺ بأهل قُباء، عندما أُخبِر بما جرى بينهم من اقتتال، حتى تراموا بالحجارة، فقال: " اذهبوا بنا نصلح ميتهم".[٤٨]

ومَن قلَّب كتب السِّيَر والتاريخ وجد نماذج مشرقة لجهود فردية في الإصلاح بين الناس على مستويات عدّة، ولعل مما يبشر بخير ما نراه في بعض الدول والمنظمات أو التنظيمات المدنية من لجان أُطلق عليها **(لجان إصلاح ذات البين)**، وفي برامجها تراجم عملية طيبة لهذا الأساس القرآني العظيم الذِّكر: **(والصلح خير)**، خير للفرد والأسرة والمجتمع والناس جميعًا، ومن أركان هذا الصلح: التنازل عن بعض الحقوق عن طيب نفس، ونسأل الله تعالى أن يهدي مَن لم يكن مصلحًا، لئلّا يكون حجرًا عثرة في طريق المصلحين؛ لأنهم إنما يزرعون لأنفسهم، ونعم ما يزرعون؛ أنها غراس المحبة، ونعم مكانها في القلوب.[٤٩]

سادسا- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ ﴾.[٥٠]

تُعد هذه القاعدة أثرًا من آثار كمال علم الله تعالى وحكمته وقدرته في خلقه، وقد جاءت هذه الآية في سياق قصة امرأة عمران والدة مريم -عليهما السلام-، يقول -جلّ وعلا-:﴿ إِذۡ

قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾.(٥١)

قال الطاهر بن عاشور: إن ما جاء على لسان مريم في قوله تعالى: ﴿ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ ﴾، إنما جاء من باب الاعتذار؛ لأن خدمة بيت المقدس –التي نذرت لها ما في بطنها– تكون أتم لو كان المولود ذكرًا، لِما في الرجل من قوةٍ، وما في المرأة من عوارض تزيدها ضعفًا كالحيض والنفاس(٥٢)، ولهذا جعل –جلّ وعلا– القوامة للرجال على النساء، قال ﷻ ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾(٥٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ ﴾. (٥٤)

قال المفسرون: هي درجة الرئاسة والرعاية وحماية الذِّمار، وهذه الدرجة أوجبت على الرجال إعطاء الزوجات جميع الحقوق التي لهن، وأن يتسامحوا عن بعض حقوقهم، ويترفعوا عن كل ما يسيء إلى المرأة، ويكدرها، وينظروا إلى النساء نظرَ عطفٍ ورحمةٍ، فلا طيش ولا تصرفات سافلة لئيمة(٥٥)، قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: " إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلْمَرْأَةِ، كَمَا أُحِبُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي".(٥٦) وقال أحد المفسرين: إن بعض ما جبلت عليه الأنثى هو نوع من الكمال في حقِّها، وإن كان نقصًا في حق الرجال، ألا ترى أن الضعف الخلقي والعجز عن الإبانة في الخصام عيب ناقص في الرجال، مع أنه يُعَدُّ من جملة محاسن النساء ؟!(٥٧)

إذن فالأساس الربّاني القرآن هو قدر، وهو حكم **(إن الذكر ليس كالأنثى)** ومَن توهم أنهما سواء، فقد أبطل دلالة القرآن في وجوب العمل بهذا الأساس **﴿ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ ﴾**، وأبطل دلالة السُّنَّة، فقد لعن ﷺ المتشبِّهين من الرجال بالنساء والمتشبِّهات من النساء بالرجال(٥٨)، فلو كانا متساويين لكان اللعن باطلًا.

ومن تطبيقات هذا الأساس القرآني ما جاء في تفريق الميراث، إذ جعل –جلّ وعلا– ﴿ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾(٥٩)، لما اقتضته سنَّة الله ﷻ من أن يكون الرجل هو الذي يكدح ويتعب في تحصيل الرزق، وهو الذي يطلب منه دفع الميراث، والمشاركة في دفع الديَّات، عند قيام

المقتضى لذلك، فالذكر –الرجل– مترقب دومًا للنقص من ماله، بينما تترقب المرأة الزيادة في مالها، فالرجل يدفع لها المهر، ويُنفق عليها هو أو وليُّها. ((وإيثار مترقب النقص دائما على مترقب الزيادة دائما لجبر بعض نقصه المترقب...)).(٦٠)

ومن تطبيقات هذا الأساس: التفريق في الشهادة بين الرجل والمرأة، لقوله تعالى:﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(٦١)، وكمال كل جنس إنما هو في محافظته على ما جبَّله –جلّ وعلا– عليه لا في تقليده الجنس الآخر. والكمال المطلق من كل وجه لا يوجد في هذه الدنيا فارض بما قسم الله لك، ولن يجد المسلم الراحة لباله والطمأنينة لنفسه إلا في التسليم المطلق لشرع ربه –جلّ وعلا–.

سابعا–قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾.(٦٢)

إن النصر كلمة تعشقها النفوس، وتسعى لها الأمم جميعها، وتتطلع إليها الأمم كلها، والنصر غاية تتباين الأمم في الوسائل التي تسعى بها لتحقيقه، وهي وإن اتفقت في جملةٍ منها، فإن ثمة معنى شريف يُلفتُ القرآن أتباعه إليه، لترسيخ سبب عدّه –جلّ وعلا– من أعظم الأسباب لتحقيق النصر، وحثهم على التمسك به والالتزام بمفرداته، وأخبرهم أنه لا يجوز أن يغيب عن أذهان المؤمنين، حتى وهم يقاتلون أعداءهم، وليؤكد عليهم أن لا يستعجلوا النصر، ولا ثمراته، ما لم يتحققوا من الالتزام بأسبابه التي قدّمها لهم –جلّ وعلا– في أساسٍ جليلٍ من الأسس القرآنية التي تشع منها القدرة الإلهية، لتساند وتدعم وتُسرِّ جند الإيمان في كلِّ مكانٍ وزمانٍ. يقول هذا الأساس: إن حقيقة النصر إنما هي: ((بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه ونصرة رسله وأتباعهم، ونصرة دينه وجهاد أعدائه وقهرهم حتى تكون كلمته – جل وعلا – هي العليا، وكلمة أعدائه هي السفلى)).(٦٣)

لقد وعد الله –جلّ وعلا– بالنصر مَن ينصره وعدًا مؤكدًا بمؤكدات لفظية ومعنوية، أما المؤكدات اللفظية من أبرزها:

١. القَسَمُ المُقَدَّرُ، إذ تقدير الآية: (والله لينصرن الله من ينصره).
٢. اللام والنون المشدّدة في ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ﴾كلاهما يفيد التوكيد، وقد أفاد معنى التوكيد تحقيق النصر الذي أضاف إليه التوكيد المعنوي في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ

عَزِيزٌ ﴾، فهو توكيد بـــ إن، والجملة الإسمية، واللام في (لقوي)، فماذا بعد ذلك... فهو -سبحانه- قويٌّ لا يضعُفُ، وعزيزٌ لا يُذَل، وكل قوةٍ وعزةٍ تُضادُّهُ ستكون ذُلًّا وضعفًا ومهانةً لأصحابها.(٦٤)

والسؤال المتبادر إلى الأذهان، كيف يكون نصر الله؟ وهل الله محتاجٌ إلى نصره وهو الغنيُّ القويّ العزيز؟!

الجواب: إن نصر الله يكون بنصرة دينه ونصرة نبيه في حياته ونصرة سنته بعد مماته، وفي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾، وهذا يعني: إنه ما نُصِرَ دين الله بأعظم من إظهار الشعائر العظيمة فيه:

أ- الصلاة: وهي صلة بين العباد وربهم، وبها يستمدون قوتهم الحسِّية والمعنوية وراحتهم النفسية.

ب- وإيتاء الزكاة: أداءٌ لحق الله تعالى في المال، وفيها انتصارًا على ما جُبِّلت عليه النفوس من الشُّح النفس، وتطهيرًا للأمّة من غريزة الحرص المذموم، والبخلُ المكروه، وليتغلّبوا على وسوسة الشيطان، ويَسُدُّ خُلَّة الجماعة في كفالتهم الضعاف والمحاويج، ليضمنوا للأمّة الحدّ الأدنى من الكفاف.(٦٥)

ت- وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إصلاحٌ للفرد وللمجتمع، وللناس، إذ أنّ الناس بين جاهلٍ أو غافلٍ، فهؤلاء يؤمرون بالخير ويذكرون به، ومن الناس مَن هو عاصٍ أو معاندٍ، فلا بدّ من نهيهم عن المنكر.

أربعة أصول من أصول التمكين، متى أقامتها أمة أو دولة أمدَّها الله بتوفيقه وإن تكالبت عليها الأمم، وفي سيرة النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ومَن سار على هديهم ومشى على منهجهم أصدق الشواهد وأنصعها... وفي التاريخ عبرة! فارجع أخي القارئ إلى بدر الكبرى، والأحزاب، واليرموك والقادسية، ونهاوند وحطّين، ولا تنسَ ما حدث بأحد، ويوم حنين ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ

مُحِيطٌ ﴾[٦٦]، ولا ينبغي لنا أن نغفل عن الإيمان إذ قال فيه –جلّ وعلا–:﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٦٧]، قال القرطبي: ((هكذا يجب علينا نحن أن نفعل))[٦٨]، أي: ننصر دين الله تعالى.

فإذا فرطنا في أسباب النصر، وعُدِمت عندنا شروطه، لم يبق من الإسلام إلا ذكره، ولا من الدين إلا رسمه، لظهور الفساد وكثرة الطغيان وقلة الرشاد، فمن يمنع العدو من الاستيلاء على بلادنا شرقًا وغربًا وبرًّا وبحرًا ؟! وما المخرج من الفتن إذا عمَّت والمحن إذا عظُمت ؟! فلا عاصم من أمر الله إلا مَن رحم.[٦٩]

ومع ذلك فإن المؤمن لا يقنط من رحمة الله، ولا ييأس من روح الله، فإن كل شدةٍ بعدها فرج وتفريج الكربات هو مسبب الأسباب الكريم الوهاب.[٧٠]

نسأل الله تعالى أن يعز دينه وأن يجعلنا من أنصاره، وأن يُظهر أولياءه على أعدائه، ونسأل الله تعالى أن يوفق المسلمين للسعي بصدق لنصرة دينهم، وليسرَّهم بنصره وتأييده؛ لأن سنن الله تعالى لا تتبدل ومواعيده لا تخلف، ونوصي إخواننا وأنفسنا أن نبدأ خطوة صادقة في نصر دين الله في أنفسنا وأهلينا، وهي خطوة مهمة في طريق نصر الأمّة.

المبحث الثالث

بعض الأسس القرآنية التي تهتم بإصلاح الفرد

وهذا لا يعني قصورها عن إصلاح الجماعة أو المجتمع، أو العالم بأسره، إنما جاء الخطاب فيها موجهًا إلى الأفراد، باعتبار كل فردٍ هو جزءٌ من المجتمع، أو أن المجتمع مجموعة من الأفراد، فإذا صلح الفرد صلح المجتمع، وهذه بعض سمات القرآن وأسسه، في توجيه الخطاب إلى الجزء وإرادة الكل. ومن هذه الأسس العظيمة:

أولا– قوله تعالى:﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾.[٧١]

وتمام هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[٧٢]، جاءت هذه الآية في سورة الحجرات التي سمّاها بعض المفسرين: جامعة الآداب. [٧٣] فبعد أن ذكر الله تعالى جملةً من الآداب العظيمة، والخلال الكريمة، ونهى عن جملةٍ من الأخلاق الرذيلة والطّباع السيئة ذكر هذا الأساس القرآني المحكم الذي يدل على عظمة هذا

الدين وسموه وعلو مبادئه، ويبرز ميزان العدل الذي لم تظهر تفاصيله كما ظهرت في هذا الدين.

لقد أكد هذا الأساس أن مَن تعامل مع ميزان العدل في علاقته بالناس أفلح وأراح واستراح، أما موازين الخلق التي حادت عنه فليس فيها سوى الظلم، ظلم الخلق، وظلم الحق وظلم النفس؛ لأن الإنسان خُلِق ظلومًا جَهولا، أما رفعةُ النسب، أو النسب الرفيع فهو في التقوى، وما عداها فخيالٌ زائلٌ.(٧٤)

لقد وضعت هذه الآية أو هذا الأساس القرآني منها حدًّا للفرد وهو يتعامل مع مَن حوله في وقت نزولها، لتبقى سائدة شامخة على مرّ العصور والأزمان، ولتندحر أو تنزوي كل عصبية جاهلية للقبيلة أو العشيرة أو النسب، أو الأسرة... أما التجاوز في ذلك إلى حدّ الغلو في المدح والموالاة المفرطة للقبيلة، بل والتلويح بنبز القبائل الأخرى وغمزها، فلا يعدو ذوبان المعايير الشرعية ومخالفة ما دلّ عليه هذا الأساس القرآني الكريم، فليتق الله مَن يسمع ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾، ثم يعود إلى التفاخر المذموم، وليعلم المؤمن أن مَن أبطأ به عمله لم يُسرِع به نسبه.

ومن تطبيقات هذا الأساس:

١. روى الشيخان من حديث المعرور بن سويد ﷺ قال: مررنا بأبي ذر الغفاري ﷺ في الربذة، وعليه بُرْدٌ وعلى غلامه مثله، فقلنا، يا أبا ذر: لو جمعت بينهما كانت حلّة، فقال: إنه كان بيني وبين رجلٍ من إخواني كلام، وكانت أمّه أعجمية فعيَّرته بأمِّه، فشكاني إلى النبي ﷺ، فلقيت النبي ﷺ فقال: " يا أبا ذر إنك امرؤٌ فيك جاهلية " قلت: يا رسول الله مَن سبَّ الرجال سبُّوا أباه وأمَّه، قال: " يا أبا ذر، إنك امرؤٌ فيك جاهلية ، هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم".(٧٥)

٢. وفي يوم فتح مكة أمر النبي ﷺ بلالًا أن يصعد فوق الكعبة ليرفع الأذان في مشهد ما ظنَّ بعض مَسلَمَة الفتح أن يعيش ليرى بلالًا، العبد الحبشي، يقف هذا الموقف(٧٦)، ولكنه الإسلام الذي أذاب كل معايير الجاهلية.

٣. وجعل النبي ﷺ يختار في صحبته لدخول الكعبة المشرفة في فتح مكة أسامة بن زيد مولاه، وبلال الحبشي وعثمان بن طلحة المسؤول عن مفتاح الكعبة.(٧٧)

٤. وخطب رسول الله ﷺ خطبة الوداع في عرفة، وقد قرّر فيها أصول التوحيد وأكّد مبادئ الإسلام، وهدم أصول الشرك والجاهلية وقال فيها: " إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ..."(٧٨)، وعندما نفر الناس بعد مغيب الشمس من عرفة أردف النبي ﷺ خلفه أسامة بن زيد، مولاه وابن مولاه، ذلك الغلام الأسود!! والناس ينظرون.(٧٩)

وفي السِّيَر والتاريخ ما تفيدنا أمثلة في الدلالة على تمسك الأمّة بهذا الأساس، وما يدل على نبلهم وفضلهم وشرف أخلاقهم الذي جعلهم أهلًا لأن يكونوا خير مَن يمثل عالمية الإسلام...

دخل علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، المعروف بـــ زين العابدين، المسجد النبوي يتخطى حِلَق قومه، حتى أتى حلقة زيد بن أسلم، وهو مولى، لكنه من علماء المدينة المنورة الكبار في زمانه فجلس عنده، فرأى في أعين بعض الناس مَن يلومه، فقال كلمة ملؤها العقل، والفضل والمروءة: ((إِنَّمَا يَجْلِسُ الرَّجُلُ إِلَى مَنْ يَنْفَعُهُ فِي دِينِهِ)).(٨٠)

لقد ربط هذا الدين الإنسان بمعيار هو في مقدور الإنسان، أما ما عدا ذلك فليس للبشر قُدرة على اختيارها، فالإنسان لا اختيار له في شرف النسب، ولا قدرة له لاختيار طوله أو لون بشرته، ولا علاقة له بوسامةٍ أو دمامةٍ(٨١)، ((وليس في كتاب الله –جلّ وعلا– آية واحدة يمدح فيها أحدًا بنسبه، ولا يذمُّ أحدًا بنسبه أو لونه، وحجمه، وإنما المدح للإيمان والتقوى، ويذم الكفر والفسوق والعصيان)).(٨٢)

لقد نزلت سورة كاملة في ذم أبي لهبٍ وهو عمّ النبي ﷺ؛ لكفره وعداوته للإسلام والمسلمين، ونهى القرآن الكريم عن جفاء المؤمنين أو طردهم لضعفهم وفقرهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾(٨٣)، وقال تعالى:﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾.(٨٤)

نسأل الله تعالى أن يُعيذنا من أخلاق أهل الجاهلية، وأن يرزقنا التأسِّي برسوله ﷺ في أمورنا كلها، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

ثانيا- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴾.[٨٥]

جمعت هذه الآية الكريمة بين القوة في العامل لأداء العمل والتمكن منه، والأمانة في أدائه على الوجه المطلوب، وهي من المطالب التي يتفق عليها عقلاء البشر في جميع الأمم والشرائع.

لقد وردت هذه الآية في سياق قصة النبي موسى عليه السلام مع الشيخ الكبير، صاحب مدين في سورة القصص، وكانت مبادرة موسى عليه السلام لقضاء حاجة ابنتَيّ صاحب مدين، تنمُّ عن مروءته وشهامته، وكانت قوة موسى في مدافعة الرعاة، وتقديم دور الفتاتين مثار إعجابهما، فلما أخبرتا به أباهما، العاجز عن العمل، لبّى طلب تلك التي طلبت منه استئجاره كما حكى القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴾[٨٦]، وهو تعليل وجيه، يدل على وقور عقل هذه المرأة وقوة ملاحظتها، وصواب توجهها.

وفي القرآن الكريم تلازمٌ ظاهرٌ بين القوة والأمانة، من ذلك:

ما جاء في قصة يوسف عليه السلام، قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام ﴿ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[٨٧]، إنه عليه السلام قد عرف قدره، وعرف نفسه، بل عرف كفاءته ومقدرته على حفظ الأمانة، والمقدرة: هي القوة في أداء الواجب، ومن ذلك إدارة أموال الدولة بكاملها، إن النبي يوسف عليه السلام، لم يمدح نفسه لمجرد المدح، بل لأن الوضع الاقتصادي في مصر ينذر بالكارثة فلا بد من مبادرةٍ في ضبط إدارة الأموال التي حذَّر القرآن من التفريط بها، ولا بدَّ ممن يتصف بالقوة والأمانة لحفظ هذه الأموال لكي لا يَضيع منها شيء.[٨٨]

وفي قصة النبي سليمان عليه السلام مع عرش بلقيس استعراض للقوى التي سخرها -جلّ وعلا- لسليمان عليه السلام، فقال عفريت من الجنّ ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾.[٨٩]

وعندما وصف -جلّ وعلا- جبريل عليه السلام، قدّم في أوصافه القوة والأمانة، فقال تعالى:﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[٩٠]، فجعل القوة والأمانة من أعظم عناصر النجاح والكمال فيمن يؤدي عملًا من الأعمال.

فلا بد إذن أن يُعرف الأصلح في وظيفةٍ أو منصبٍ؛ لأن المنصب والوظيفة ولاية وللولاية ركنان رئيسان: القوة والأمانة، والقوة في كل ولاية بحسبها، ففي الحرب: شجاعة في القلب وخبرة بالحروب ومعرفة بأساليب المدافعة؛ لأن الحرب خدعة، وإلى القدرة على فنون القتال وأنواعه، من رميٍّ وطعنٍ وضربٍ وكرٍّ وفرٍّ، وفي الحكم نجد القوة ترجع إلى العدل والعلم والقدرة على تنفيذ الأحكام، وترجع الأمانة إلى خشية الله تعالى، وألا يشتري بآياته ثمنًا قليلًا، وترك خشية الناس.(٩١)

ثالثا- قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾.(٩٢)

التقوى هي فعل أوامر الله، واجتناب نواهيه، وذلك يحتاج إلى صبر ومصابرة، وحبس النفس على مراد الله ورسوله ﷺ، وقد جمعت هذه الآية بين التقوى والصبر؛ لأن أثر التقوى في فعل ما أمر الله ورسوله ﷺ به واضحٌ وجليٌّ أما الصبر فأثره في الأغلب في ترك ما نهى -جلّ وعلا- عنه، وما أمر رسول الله ﷺ بالكف عنه.(٩٣)

جاء هذا الأساس في سورة يوسف، في قصته عليه السلام، حين دخل عليه إخوته، فقالوا:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾.(٩٤)

ومن تطبيقات هذا الأساس:

قال ابن تيمية -رحمه الله-: إن يوسف عليه السلام ابتُلِيَ بعد أن ظُلِمَ بمَن يدعوه إلى الفاحشة، ويراوده عليها ويستعين عليه بمَن يعينه على ذلك، فاستعصم واختار السجن على الفاحشة وآثر عذاب الدنيا على سخط الله، فكان مظلومًا من جهة مَن أحبه لهواه، ولغرضه الفاسد، وسبق له أن تعرّض لمحنة إخوته، وكان فيها ظلمٌ له، إذ أخرجوه من الحرية إلى العبودية بلا اختيارٍ منه، ولا ذنبٍ، وظلم امرأة العزيز التي ألجأته إلى اختيار السجن، لقد كان صبر يوسف عليه السلام صبران:

صبرٌ على المصائب التي لا يكاد يسلم منها أحد، وصبرٌ آخر على أذى امرأة العزيز وكان هذا الصبر الأخير اختياريًّا وقد اقترنت به التقوى، أو كان سببه التقوى(٩٥)، ولهذا قال يوسف عليه السلام: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾.

ومن هنا فرع بعض العلماء على هذا الأساس، أسس أخرى، فقال: إذا أوذي المؤمن على إيمانه وطُلِبَ منه الكفر أو الفسوق، أو العصيان، وإن لم يفعل أوذي وعوقب، فعليه اختيار الأذى والعقوبة على فراق دينه، إما الحبس أو مغادرة البلد، كما جرى للمهاجرين ﷺ حين اختاروا فراق الأوطان على فراق الدين وكانوا يعذبون ويؤذون. وكان ما حصل للمؤمنين من الأذى والمصائب هو باختيارهم طاعة لله ورسوله، ولم تكن من المصائب السماوية التي تجري بدون اختيار العبد، وهذه الأخيرة يثاب عليها العبد على صبره ورضاه، وتكفر عنه الذنوب بمصائبه، أما أن يعرض نفسه للعقوبات والأذى باختياره طاعة لله ولرسوله، ففي صبره منتهى الشرف[٩٦]، أن مرارة التقوى والصبر على الأذى، لا توازي ولا تقارب مرارة تركهما؛ ولذلك جاء الأساس الآخر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.[٩٧]

وقد أوذي النبي ﷺ بأنواع من الأذى فكان يصبر عليها صبرًا اختياريًّا، وكان ﷺ إنما يؤذى لئلا يفعل ما يفعله باختياره، وكان هذا أعظم من صبر يوسف عليه السلام؛ لأن يوسف عليه السلام إنما طُلِبَ منه الفاحشة، وكانت عقوبته لامتناعه عن فعل الفاحشة بالحبس، أما النبي ﷺ وأصحابه ﷺ فقد طلب منهم الكفر، وإذا لم يفعلوا كانت عقوبتهم القتل فما دونه، وأهون ما عوقبوا به الحبس، وكان ما حصل للنبي ﷺ وأصحابه ﷺ هو باختيارهم طاعة لله تعالى، ولم يكن ذلك الأذى من المصائب السماوية التي تجري دون اختيار العبد، من جنس حبس يوسف عليه السلام، لا من جنس التفريق بينه وبين أبيه.[٩٨]

ويمكن الاستفادة من هذا الأساس في حالات كثيرة، يمكن الاستعانة بالصبر والتقوى على انحرافاتها، وما يلحق بالمؤمنين من ضرر، باجتناب المحرمات جميعها، ومنها: الحسد والرياء والكبر والطمع، وغيرها.

رابعا- قَالَ تَعَالَى:﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.[٩٩]

لقد ورد هذا الأساس في سياق الحديث عن آيات الطلاق في سورة الطلاق لبيان جملة من المبشرات التي تنتظر من طبق شرع الله في أمر الطلاق، وبيانها:

إن مَن توكل على الله في أمر دينه ودنياه، فاعتمد عليه -جلَ وعلا- في الحصول على ما ينفعه ودرء ما يضره، وفعل ما أمر به ﷻ ورسوله ﷺ من الأسباب، مع كمال الثقة بالله

تعالى بتسهيل ذلك وتيسيره، فإن الله كافيه لذلك الأمر الذي توكل عليه به.(١٠٠) وقد تضمَّن هذا الأساس معنى التحذير والتطمين:

والتحذير موجه للزوجين، لكل واحد منهما، وخاصة ذلك الذي تسوِّل نفسه مجاوزة حدود الله تعالى في أمر الطلاق، من حيث العدّة والنفقة، ووسائل الإرضاع، والإخراج والإمساك... وغيرها.، لما علم من أن النفوس تكون قلقة ومشحونة وربما غير منضبطة في كثير من تصرفاتها، وقد يملي عليها الغيظ أو الغضب تصرفاً لا إنصاف فيه ولا عدالة.(١٠١)

((أما التطمين، فموجّه لِمَن صدق مع الله تعالى في تطبيق شرعه في أمر الطلاق، وإنه وإن كيد به أوله، فإن الله معه، وناصره، وحافظ حقه، ودافع كيد مَن يريد به كيدًا)).(١٠٢)

لقد أفاض القرآن الكريم في مسألة التوكل، فذكر فضله، وأثنى على أهله، وبيَّن أثره على حياة الفرد، والأسرة والمجتمع، وذكرت النصوص القرآنية أن من كمال التوكل فعل الأسباب لا كما يظن بعض الناس –خطأً– أن التوكل يعني تعطيل الأسباب، ومَن تأمل مسألة الصحابي الذي أراد الدخول إلى المسجد النبوي، فقال بأعلى صوته، أأعقل ناقتي أم أتوكل...؟! فكان جواب النبي ﷺ سريعًا " اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ "(١٠٣)، وتأمل قصة النبي موسى عليه السلام عندما واجه البحر، فأمره –جلّ وعلا– بضرب البحر، وعندما احتاجوا الماء أمره بضرب الحجر(١٠٤)، ولما احتاجت مريم –عليها السلام– ما تتبلغ به عندما ولدت أمرها –جلّ وعلا– بهز جذع النخلة.(١٠٥) ومع ذلك، فإن الالتفات إلى الأسباب بالكلية منافٍ للتوحيد، وهو شرك، وإنكار الأسباب قدح بالشرع والحكمة، والإعراض عن الأسباب، مع العلم بكونها أسبابًا، نقصان في العقل، أما تنزيلها منازلها ومدافعة بعضها ببعض، وتسليط بعضها على بعضٍ هو محض العبودية والمعرفة، وإثبات للتوحيد، وخدمة للشرع وأمان بالقدر، والحكمة.(١٠٦)

إن التوكل على الله –جلّ في علاه– أمرٌ مطلوبٌ في كل شؤون الحياة، وفي الآيات القرآنية حضٌ عليه وأمر به للنبي ﷺ وللمؤمنين، وهذه الأوامر القرآنية أو الأسس القرآنية تقول(١٠٧):

١. إذا طلبنم النصر والفرج فتوكلوا على الله ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾.(١٠٨)

٢. وإذا أعرضت عن أعدائك فليكن رفيقك التوكل ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾.(١٠٩)

٣. وإذا أعرض عنك الخلق فتوكل على الخالق البارئ ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ ﴾.(١١٠)

٤. وإذا طلب الصلح والإصلاح بين قوم لا تتوسل إلى ذلك إلا بالتوكل على الله ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾.(١١١)

٥. وإذا تعرضت لقدر الله وقضائه، فاستقبلها بالتوكل ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾.(١١٢)

٦. وكن مع نوحٍ عليه السلام في أرض التوكل عندما ينصب لك الأعداء شِباك المكر ومؤامرات الغدر...﴿ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ ﴾.(١١٣)

٧. وطّن نفسك على التوكل؛ لأن مرجع الكل إلى الله، وتقدير الأمر كله لله تعالى ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ ﴾.(١١٤)

٨. وإياك إياك أن تتوكل على غيره؛ لأن الله -جلّ في علاه- هو الخالق الواحد، ولا شريك له ﴿ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴾.(١١٥)

٩. وما دام الأمر لله تعالى والهداية منه -جلّ وعلا-، فاستقبلها بالشكر ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾.(١١٦)

١٠. وإذا خشيت بأس الشيطان، وأعداء الله، من الفاسدين والغادرين والخائنين فلا تلتجئ إلا إلى الله وتطرق بابًا سوى بابه ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.(١١٧)

١١. تمسك بالتوكل في كل حال ليكون الله -جلّ وعلا- وكيلك في كل حال ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾.(١١٨)

١٢. فإذا أردت أن يكون الفردوس الأعلى نُزُلك، فابحث في مقام التوكل ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.(١١٩)

١٣. وإن أردت أن يكون الله لك، وتكون لله خالصًا﴿ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ﴾.(١٢٠)

المبحث الرابع

الأسس القرآنية ودورها في إصلاح المجتمع

أولا- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ ﴾.(١٢١)

القصاص جوهرةُ الإسلام التي جعلها -جلّ وعلا- حياة للبشرية، وبالقصاص تُوأدُ حرب طويلة المدى بين ذوي القاتل وذوي المقتول، ولهذا عُدَّت من الأسس القرآنية المحكمة في أبواب التعامل بين الخلق الذين لا تخلو حياة كثير منهم من بغي وعدوان، سواء على النفس أو ما دونها، وبالقصاص يرتدع مَن يريد الإقدام على القتل، فيكون في ذلك حياة الناس.(١٢٢)

إن القصاص رادعٌ عن جريمة القتل، ومَن تأمّل بلاد الدنيا عمومًا، مُسلمها وكافرها فسيلمس قلّة القتل في البلاد التي يُقتل فيها القاتل، أمّا ما يزعمه أعداء الإسلام من أن القصاص مجانبٌ للحكمة؛ لما فيه من إقلالٍ لعدد الناس، بقتل إنسان آخر بعد موت الأول، وأنه ينبغي أن يعاقب بغير القتل، من حبسٍ ونحوه، قال الشنقيطي: ((إن الحبس لا يردع الناس عن القتل، فإذا لم تكن العقوبة رادعة فإن السفهاء يكثر منهم القتل، فيتضاعف نقص المجتمع بكثرة القتل)).(١٢٣)

إنّ في القصاص عدلٌ يُطمئن أولياء المقتول بأن القضاء ينتقم لهم ممن اعتدى على قتيلهم، وبذلك لن يتصدى أولياء القتيل للانتقام أو الثأر من القاتل بأنفسهم؛ لأن ذلك سيؤدي حتمًا إلى حرب بين جماعتين أو مجموعتين، فيكثر فيها إتلاف الأنفس.(١٢٤)

جاءت كلمة (حياة) نكرة، وهذا التنكير يفيد معنى التعظيم، وفيه ارتداعٌ للناس عن إزهاق النفوس، وإن أهمل حكم القصاص لم يرتدعْ الناس؛ لأن أشد ما تتحاشاه نفوس البشر من الحوادث هو الموت، ولو علم القاتل أنه يسلم من الموت لأقدم مرارًا على القتل مستخفًّا بالعقوبات، ولو ترك الأمر للأخذ بالثأر كما هو معروف في العصر الجاهلي لأفرطوا في القتل، أصاب رجلٌ من المسلمين دمًا في البصرة وهرب، فعاقبه أميرها بهدم داره بها، فأنشد قائلًا:

سأغسلُ عنّي العارَ بالسيفِ جالبًا ... عليَّ قضاءَ اللهِ ما كان جالِبَا

وأذهَلُ عن داري وأجعلُ هدمَها ... لِعِرضِيَ من باقي المَذَمَّةِ حاجبَا

ويصغُرُ في عَيني تِلادي إذا انثَنَت ... يميني بإدراكِ الذي كنتُ طالبَا.[١٢٥]،[١٢٦]

وكان الناس يعرفون معنىً من معاني هذا الأساس في المثل السائد آنذاك، وهو: **(القتل أنفى للقتل)**[١٢٧]، وهو من كلام الناس، ولا يهم أن يكون عربيًّا أصالةً أو أنه تُرجِمَ عن لغة أخرى، ورحِم الله الباقلّاني الذي قال في المقارنة بين كلام الله تعالى وكلام البشر: ((فإن اشتبه على متأدب أو متشاعر أو ناشئ أو مرمدٍ فصاحة القرآن وموقع بلاغته وعجيب براعته فما عليك منه، إنما يخبر عن نفسه، ويدل على عجزه، ويبين عن جهله، ويصرح بسخافة فهمه وركاكة عقله)).[١٢٨]

وقد أشغل هذا الأساس القرآني فريقًا من البلاغيين مقارنة مع المثل **(القتل أنفى للقتل)** فقالوا:

١. إنّ حروف الأساس القرآني ﴿ **فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ** ﴾ أقلُّ منها عددًا من **(القتل أنفى للقتل)** وخير الكلام ما قلَّ ودلّ!!

٢. ذكر الأساس القرآني: القصاص، ولم تقل القتل، فشملت القتل وغيره فيما دون الأنفس، وجعلت الأمر عقوبة وجزاء لخطأ سابق، وليس عدوانًا، وهذا هو العدل.

أما المثل العربي **(القتل أنفى للقتل)** فليس فيه إلا القتل، ولم يُجعَل عقوبةً، ولا عدل فيه؛ لأنه لم يؤكد على قتل القاتل، ولا حياة فيه، ألا ترى أنّ المثل ذكر القتل مرّتين في جملة تتكون من ثلاث كلمات؟! وذكر العلماء ثلاث تقديرات حتى يستقيم معناه، فقالوا: والتقدير (القتل قصاصًا أنفى من تركه لِلقَتْلِ عمْدًا وعدوانًا)، وهذا التكرار عُدَّ عيبًا من الناحية البلاغية، أو القاعدة القرآنية، فجاءت قلّة حروفها وخلوها من التكرار وعُدَّ القصاص عقوبة، تشمل القتل وغيره، فضلًا على كونها صريحة في دلالتها على المعنى، مستغنية بكلماتها عن كل تقدير، مع ما فيها من سَلاَسة في اللفظ؛ لاشتمالها على حروف متلائمة سهلة التتابع في النطق خفيفة على اللسان، وذلك ما لا نحوه في المثل الذي جاءت كلماته ثقيلة على النطق لِما فيها من تكريرٍ لحرف القاف المتحرِّك بين ساكنين.[١٢٩]

لقد بيَّن هذا الأساس حكمة القصاص بأسلوبٍ لا يسامى، وعبارةٍ لا تحاكى فقررت ضرورة نظام القصاص في هذه الحياة بأخصر عبارة وأدقّها، ومن دقائق البلاغة فيها: أن جعل

الضدّ متضمناً لضدَّه، وهو: الحياة في الإماتة التي هي القصاص، وعرَّف القصاص، ونَكَّرَ الحياة، للإشعار بأنّ في هذا الجنس من الحكم نوعً من الحياة عظيمًا، لا يُقدَّرُ قدرُه، ولا يُجهَلُ سِرُّهُ. وخصَّ بالنداء أصحاب العقول الكاملة للتنبيه على أنهم هم الذين يفقهون سِرَّ هذا الحكم وما اشتمل عليه من الحكمة والمصلحة العامَّة.(١٣٠)

ثانيا- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾.(١٣١)

ومن نظائرها، قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾(١٣٢)، وقد وردت بألفاظ متعددة، وتكاد تكون المعاني متقاربة في كثير من الآيات التي تقع في دائرة هذا الأساس، وخلاصتها: ((إنّ القرآن الكريم يبيِّن في غير موضع أنّ الله لم يُهلك أحدًا ولم يعذبه إلا بذنبٍ))(١٣٣)، وفي السنَّة النبوية من تطبيقاتها الشيء الكثير من ذلك: ما رواه الإمام مسلم في الحديث القدسي، قال رسول الله ﷺ: قال الله ﷻ: "... إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا، فليحمد الله ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه".(١٣٤)

وفي صحيح البخاري قال رسول الله ﷺ: "سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت"(١٣٥)، ولما سأل أبو بكر ﷺ النبي ﷺ أن يعلِّمه دعاءً يدعو به في صلاته قال له ﷺ: " قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم"(١٣٦)

إن الذنوب هي سبب العقوبات العامة والخاصة، وما على العاقل إلا أن يبدأ بنفسه، فيفتش عن مناطق الزلل فيه، ويسأل ربه أن يهديه لمعرفة ذلك، فإن من الناس مَن يستمرئ الذنوب والمعاصي، ولا ينتبه إلى ذلك، وقد لا يبالي بها، وربما استحسنها وهو لا يشعر، فتكون مصيبة أعظم، ويمكن للعبد بلوغ مرتبة الإمامة في الدين إذا فقه ذنوبه وعرفها فاجتنبها؛ لأن الله -جلّ وعلا- إنما سلّط الناس عليه بسبب ذنبه، فإذا فَقِه المسلم أن جميع ما يناله من المكروه فسببه ذنوبه، اشتغل بالتوبة والاستغفار...(١٣٧) وفي قول الإمام علي بن أبي طالب ﷺ: " لا يرجونّ عبدٌ إلا ربه، ولا يخافنّ عبدٌ إلا ذنبه" أساس، بمعنى: هذا الأساس القرآني الذي يحقق

الأثر الإيماني والتربوي لمن عقلها[١٣٨]، وروي عنه وعن غيره " ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة "[١٣٩]، وقال ابن القيم –رحمه الله–: ((وهل في الدنيا شرور وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي))؟![١٤٠]

قال: فما الذي أخرج آدم وحواء من الجنة، دار اللذة والنعيم، والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب غير الذنوب والمعاصي؟! ما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء؟!

إنّ الذنوب والمعاصي أغرقت أهل الأرض، وسلّطت الريح العقيم على قوم عاد، وأرسلت على قوم ثمود الصيحة، وقلبت على قوم لوط قريتهم فجعلت عاليها سافلها وأمطرت عليهم حجارة من سجيل، وأرسلت إلى أهل مدين نارًا تلظى، وأغرقت فرعون وآله، وخسفت بقارون داره وماله وأهله، وأهلكت الذنوب والمعاصي قرونًا بعد نوح، ودمرت أهلها تدميرًا، قال الإمام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا صفوان بن عمر وحدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال: لما فتحت قبرص فُرِّقَ بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض، فرأيت أبا الدرداء جالسًا وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: ويحك يا جبير! ما أهون الخلق على الله ﷻ إذا أضاعوا أمره؟! بينما هي أمة قاهرة ظاهرة، لهم الملك، تركوا أمر الله، فصاروا إلى ما ترى؟![١٤١]

إنّ العقوبات حينما تُذكر فلا يصح حصرها في العقوبات الحسّة أو الجماعية، كما مرّ في الهدم والغرق والصيحة أو السجن أو العذاب الحسّي، وحتى القتل، وغيره من مصادره، وتهجير وتهميش وغيرها، فهذه لا شك أنها عقوبات، وفي العقوبات ما تكون أشدُّ وأعظم، ومنها تلك التي يسلِّطها –جلّ وعلا– على القلوب فتصاب بالغفلة والقسوة، فلا تهزّه الأحداث والمصائب، ولا عبرة له فيها، بل إنّ كثيرًا من الأمم التي يُمِدُّ الله –جلّ وعلا– لها ترى النِّعم تتابعت وازدادت عليها واستمرت وتجدّدت مع بعدها عن الله تعالى وشرعه وسننه وقواعد قرآنه، فظنَّ مساكينها أن ذلك من علامات الرِّضا، وهذه لعمر الله هي الكارثة، بل هي أعظم المصائب والعقوبات التي يُبتلى بها المغفلون، فاستحقوا ما ذكره –جلّ وعلا– فيهم ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾.[١٤٢]

نعوذ بالله أن نكون من أهل هذه الآية، ونسأله تعالى أن يتوب علينا وأن يُبَصِّرُنا بمواطن الزلل منّا... إنّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتيسيره وعونه تقضى المهمات، والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، والداعي إلى الله بإذنه، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين... أما بعد، فلقد أثبت في دراستي هذه الآتي:

١. الأسس القرآنية تعالج مسائل الدين والدنيا وترسم معالم سير المؤمن إلى الآخرة، وتصنع قواعد لترشيد العلاقات بين الناس، وربطهم بدستور الأمّة وكتابها الخالد في شؤونهم وأحوالهم جميعها.

٢. استخراج جمل قليلة المباني جزيلة المعاني، ترسخ معاني القرآن في قلوب الناس وعقولها، وتهذب منطق الأفراد، وتنقِّيه مما شابه من الكلام المبتذل.

٣. والأسس قضايا كلية منطبقة على جزئياتها تعتمد على النص القرآني، وحكمها مقطوع به لا يتطرق إليه الشكّ ولا يداخله ظنّ، وهذه الأسس ليست من كلام المفسرين، وليست من ترتيب الأصوليين وصياغتهم.

٤. هذه الأسس سنن ربانيّة، كونية، تخاطب الفرد، وتعني به المجتمع، وتخاطب الناس والأمّة، والذين آمنوا، وتعني الأفراد والمكلفين ذكورًا وإناثًا.

٥. قد وضعها النبي ﷺ وأصحابه ﷺ موضع التطبيق العملي، حتى أصبح كل واحد منهم قرآنًا يمشي على الأرض، فمكّن الله –جلّ وعلا– لهم وفيهم الذي ارتضى.

٦. ووضعها مَن جاء بعدهم في العقول والقلوب، والضمائر، وبذلوا من أجلها الدماء، والأعمار والأموال، فكان لهم التمكين والنصر، صاحبًا وخليلًا، حوَّل حركتهم الجهادية إلى نزهة.

٧. وقد قدمت نماذج من هذه الأسس وهي كثيرة جدًّا، فالقرآن كلّه حاكم لا محكوم، وهو السنّة والأساس والأمر الربّانيّ، أمرًا ونهيًا، (إفعل ولا تفعل).

٨. وعندما تحفظ الأمّة قرآنها في الصدور والسطور، وتضعه في القلوب والضمائر، وتترجمه إلى فعلٍ، عندها يتحقق قول النبي ﷺ: " رُبَّ أشعثٍ أغبرٍ لو أقسم على الله لأبره"، ويتحقق الأساس الرباني العظيم: ((إن تنصروا الله ينصركم))، والأساس القرآني العظيم: ((ولينصرن الله مَن ينصره)).

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

هوامش البحث ومصادره:

(١) ينظر: إصلاح المنطق، لابن السكيت: باب مما يصح قوله وما لا يصح، ص٢٣٤؛ المغرب في ترتيب المعرب، للمطرزي: باب الهمزة، ص٢٥؛ ولسان العرب، لابن منظور: فصل الهمزة، ٦/٦؛ والمصباح المنير، للحموي: كتاب الألف، ١٤/١.

(٢) ينظر: الكليات، للكفوي: فصل الألف والصاد، ص١٢٢، وفصل القاف، ص٧٢٨؛ وقواعد التفسير، لخالد السبت: ١٤/١، ٢٣.

(٣) مقاييس اللغة: كتاب القاف، ٧٨/٥- ٧٩؛ والاتقان في علوم القرآن، للسيوطي: ٣٣٩/٢؛ وتاج العروس، للزبيدي: فصل الخاء مع الراء، ١٦٣/١١، فصل النون مع الصاد (نكص)، ١٩٠/١٨.

(٤) ينظر: الكليات، للكفوي: فصل القاف، ص٤٢١؛ ومفاتيح الغيب، للرازي: ١١٠/٧، ١٦٢/١٠، ٢٦٩/١٧؛ والبحر المحيط، لأبي حيان: ٧٤/٦.

(٥) سورة القيامة، الايتان: ١٧- ١٨.

(٦) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان: ص ١٧؛ والنبأ العظيم، لمحمد عبد الله دراز: ص ٤٣.

(٧) سورة البقرة، من الآية ٨٣.

(٨) رواه البخاري في صحيحه: باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا، ح/٦٠١٨، ١١/٨؛ رواه مسلم في صحيحه: باب الحث على إكرام الجار والضيف، ح/٤٧، ٦٨/١. متفق عليه.

(٩) رواه مسلم في صحيحه: باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، ح/٢٦٢٦، ٢٠٢٦/٤؛ رواه البخاري في كتابه الادب المفرد: باب الاحتباء، ح/١١٨٢، ٤٠٣/١. واللفظ لمسلم.

(١٠) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، ح/٢٥٦٦، ١٥٣/٣؛ رواه مسلم في صحيحه: باب الحث على الصدقة ولو بالقليل ولا. متفق عليه.

(١١) سورة الإسراء، من الآية ٢٣.

(١٢) سورة الضحى، الآية ١٠.

(١٣) روح المعاني: ٣٨٣/١٥.

(١٤) ينظر: تفسير ابن عثيمين: ٢٦٩/١.

(١٥) سورة الفرقان، من الآية ٦٣

(١٦) جامع البيان: ٢٩٥/١٩.

(١٧) ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: ٣٣٠/٥.

(١٨) ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام: ٥٧٣/٢.

(١٩)سورة القصص، من الآية: ٥٥.

(٢٠) ينظر: السيرة النبوية: ٢٩٤/١؛ ودلائل النبوّة، للبيهقي: ٢٠٢/٢.

(٢١) ترتيب المدارك، للقاضي عياض: ٥٩/١.

(٢٢) ينظر: المنهج الحركي للسيرة النبوية، لمنير الغضبان: ص ١٠٨.

(٢٣) سورة البقرة، من الآية ٢١٦.

(٢٤) سورة البقرة، من الآية ٢١٦.

(٢٥) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، للسعدي: ص ٢٢٨.

(٢٦) رواه البخاري في صحيحه: باب غزوة الحديبية، ح/٤١٧٢، ١٢٥/٥؛ وزاد المعاد، لابن قيم الجوزية: ٢٩٥/٤.

(٢٧) نفحة اليمن، للشرواني: ص ١٧٦.

(٢٨) تفسير أسماء الله الحسنى، للسعدي: ص ٢٢٨.

(٢٩) سورة البقرة، من الآية ٢٣٧.

(٣٠) شرح مختصر خليل، للخرشي: ٢٦٧/٣.

(٣١) بهجة قلوب الأبرار، لعبد الرحمن السعدي: ص ٣٧.

(٣٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، حديث (٣١٣٩، ٤٠٢٤)، ٩١/٤، ٨٦/٥.

(٣٣) سورة طه، من الآية ٦١.

(٣٤) ينظر: المفردات، للأصفهاني: كتاب الفاء، ص ٦٣٤.

(٣٥) ينظر: الصواعق المرسلة، لابن القيم: ١٢١٢/٤.

(٣٦) سورة الأنعام، من الآية ٩٣.

(٣٧) سورة الأعراف، الآية ٣٣.

(٣٨) سورة النحل، الآية ١١٦.

(٣٩) إعلام الموقعين، لابن القيم: ٧٤/٢.

(٤٠) سورة النساء، من الآية ١٢٨.

(٤١) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية: ١٤١/٢.

(٤٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: ص ٢٠٧.

(٤٣) سورة النساء، من الآية ١٢٨.

(٤٤) ينظر: المحرر الوجيز: ١٤١/٢- ١٤٢.

(٤٥) ينظر: تفسير السعدي: ص ٢٠٦.

(٤٦) سورة الأنفال، الآية ١.

(٤٧) سورة النساء، الآية ١١٤.

(٤٨) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، حديث (٢٦٩٣)، ١٨٣/٣.

(٤٩) ينظر: قواعد قرآنية: ص ٤٦.

(٥٠) سورة آل عمران، من الآية ٣٦.

(٥١) سورة آل عمران، الآيتان ٣٥- ٣٦.

(٥٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٢٣٣/٣.

(٥٣) سورة النساء، من الآية ٣٤.

(٥٤) سورة البقرة، من الآية ٢٢٨.

(٥٥) مقاييس اللغة: كتاب الزاي، باب (زرب)، ٥٤/٣؛ والتحرير والتنوير: ٣٩٦/٢.

(٥٦) مصنف ابن أبي شيبة: باب في قوله وللرجال عليهن درجة، حديث (١٩٢٦٣)، ١٩٦/٤؛ والسنن الكبرى، للبيهقي: باب حق المرأة على الرجل، حديث (١٤٧٢٨)، ٤٨٢/٧.

(٥٧) ينظر: أضواء البيان: ١٠٣/١.

(٥٨) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، حديث (٥٨٨٥)، ١٥٩/٧.

(٥٩) سورة النساء، من الآية ١١.

(٦٠) أضواء البيان: ٢٦/٣؛ وينظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا: ١٠٤/٣.

(٦١) سورة الملك، الآية ١٤.

(٦٢) سورة الحج، من الآية ٤٠.

(٦٣) أضواء البيان: ٢٦٥/٥.

(٦٤) ينظر: مجالس شهر رمضان، لابن عثيمين: ١٤٦- ١٤٧.

(٦٥) ينظر: في ظلال القرآن: ٢٤٢٧/٤.

(٦٦) سورة الأنفال، الآية ٤٧.

(٦٧) سورة الروم، من الآية ٤٧.

(٦٨) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٢٥٥/٣.

(٦٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٥/٣؛ ومجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية -رشيد رضا-: ٥٨/١.

(٧٠) ينظر: بهجة قلوب الأبرار، لعبد الرحمن السعدي: ص ٢٢١.

(٧١) سورة الحجرات، من الآية ١٣.

(٧٢) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٧٣) ينظر: قواعد قرآنية: ص ٧٩.

(٧٤) ينظر: المصدر نفسه: ص ٧٩- ٨٤.

(٧٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، حديث (٣٠)، ١٥/١؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس، حديث (١٦٦١)، ١٢٨٢/٣. واللفظ له.

(٧٦) الرحيق المختوم، للمبار كفوري: ص ٣٧٢.

(٧٧) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الأبواب والغلق للكعبة والمساجد، حديث (٤٦٨)، ١٠١/١؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره، حديث (١٣٢٩)، ٩٦٦/٢.

(٧٨) رواه الدارمي في سننه، كتاب المناسك، باب في سنّة الحاج، حديث (١٨٩٢)، ١١٦٧/٢؛ ورواه أبي داود في سننه، كتاب المناسك، باب صفة حجّة النبي ﷺ، حديث (١٩٠٥)، ٢٨٥/٣. قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٧٩) ينظر: روضة الأنوار، للمباركفوري: ص ٢٩٢.

(٨٠) حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني: ١٣٨/٣.

(٨١) يقال: دميم (بالدال) إذا كان صغير الوجه قبيح المنظر، وذميم (بالذال) إذا كان قبيح الأخلاق، فهو: دميم الخَلْق، ذميم الخُلُق. ينظر: المصباح المنير، للحموي: كتاب الدال (د م م)، ٢٠٠/١؛ وأساس البلاغة، كتاب الدال (دمم)، ٢٩٩/١.

(٨٢) دقائق التفسير، لابن تيمية: ٢٣/٢.

(٨٣) سورة الأنعام، من الآية ٥٢.

(٨٤) سورة الكهف، الآية ٢٨.

(٨٥) سورة القصص، من الآية ٢٦.

(٨٦) سورة القصص، الآية ٢٦.

(٨٧) سورة يوسف، الآية ٥٥.

(٨٨) ينظر: تفسير السعدي: ص ٤٠٠.

(٨٩) سورة النمل، الآية ٣٩.

(٩٠) سورة التكوير، الآيات ١٩- ٢١.

(٩١) ينظر: السياسة الشرعية، لابن تيمية: ص ٤٢- ٦٣.

(٩٢) سورة يوسف، من الآية ٩٠.

(٩٣) ينظر: جامع الرسائل، لابن تيمية: ٧٥/٢.

(٩٤) سورة يوسف، الآيات ٨٨- ٩٠.

(٩٥) ينظر: مجموع الفتاوي، لابن تيمية: ١٢١/١٠- ١٢٢.

(٩٦) ينظر: مجموع الفتاوي: ١٢٢/١٠- ١٢٣.

(٩٧) سورة البقرة، من الآية ١٥٣، ٢٤٩، ٤٦، ٦٦.

(٩٨) ينظر: المصدر السابق: ١٢٢/١٠- ١٢٣.

(٩٩) سورة الطلاق، من الآية ٣، سورة الأنفال، من الآية ٤٩ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

(١٠٠) ينظر: تفسير السعدي: ص ٨٦٩.

(١٠١) ينظر: مدارج السالكين، لابن قيم: ٢٤٤/١.

(١٠٢) قواعد قرآنية: ص ١٨٨.

(١٠٣) رواه الترمذي في سننه، باب صفة القيامة والرقائق والورع، حديث (٢٥١٧)، ٦٦٨/٤؛ وشعب الإيمان، للبيهقي: باب التوكل بالله ﷻ والتسليم لأمره، حديث (١١٥٩)، ٤٢٧/٢. قال أبو عيسى: هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

(١٠٤)﴿ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَ ﴾، سورة الشعراء، من الآية ٦٣؛ ﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ ﴾، سورة البقرة، الآية ٦٠.

(١٠٥)﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ ﴾، سورة مريم، من الآية ٢٥.

(١٠٦) ينظر: مدارج السالكين: ٢٥٧/١.

(١٠٧) ينظر: بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي: ٣١٣/٢- ٣١٥.

(١٠٨) سورة آل عمران، الآية ١٦٠.

(١٠٩) سورة النساء، من الآية ٨١.

(١١٠) سورة التوبة، الآية ١٢٩.

(١١١) سورة الأنفال، الآية ٦١.

(١١٢) سورة التوبة، الآية ٥١.

(١١٣) سورة يونس، من الآية ٧١.

(١١٤) سورة هود، من الآية ١٢٣.

(١١٥) سورة الرعد، من الآية ٣٠.

(١١٦) سورة ابراهيم، الآية ١٢.

(١١٧) سورة النحل، الآية ٩٩.

(١١٨) سورة النساء، من الآية ٨١.

(١١٩) سورة النحل، الآية ٤٢.

(١٢٠) سورة النمل، الآية ٧٩.

(١٢١) سورة البقرة، من الآية ١٧٩. وتمامها ﴿ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾.

(١٢٢) قرآن كريم، تفسير وبيان، لمحمد حسن الحمصي: ص ٢٧.

(١٢٣) أضواء البيان: ٣٢/٣.

(١٢٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣٦/٢- ١٣٧.

(١٢٥) الأبيات لسعد بن ناشب، ينظر: عيون الأخبار، للدينوري: ٢٨٤/١؛ وشرح ديوان الحماسة، للتبريزي: ص ١٥.

(١٢٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤٥/٢.

(١٢٧) ينظر: وحي القلم، للرافعي: ٣٦٠/٣- ٣٦٤.

(١٢٨) وحي القلم: ٣٦٠/٣؛ وينظر: أعلام النبوة، للماوردي: ص ١٠٠.

(١٢٩) ينظر: البلاغة العربية، للميداني: ٣٥/٢- ٣٦؛ و وحي القلم: ٣٦٠/٣- ٣٦١.

(١٣٠) تفسير المنار: ١٠٦/٢- ١٠٧؛ وأولى ما قيل في آيات التنزيل، لرشيد الموصلي: ٢٥٤/١.

(١٣١) سورة الشورى، الآية ٣٠.

(١٣٢) سورة آل عمران، الآية ١٨٢؛ سورة الأنفال، الآية ٥١؛ سورة الحج، الآية ١٠ ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾

(١٣٣) مجموع الفتاوي: ٤٢٤/١٤.

(١٣٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث (٢٥٧٧)، ١٩٩٤/٤.

(١٣٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب فضل الاستغفار، حديث (٦٣٠٦)، ٦٧/٨. واللفظ له.

(١٣٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، حديث (٨٣٤)، ١٦٦/١؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، حديث (٢٧٠٥)، ٢٠٧٨/٤.

(١٣٧) ينظر: قاعدة في الصبر، لابن تيمية: ٩٤.

(١٣٨) ينظر: قاعدة في الصبر: ٩٤.

(١٣٩) منار القاري، لحمزة محمد قاسم: باب الدعاء قبل السلام، ٢١٣/٢.

(١٤٠) قواعد قرآنية: ص ٢٥٥- ٢٥٦.

(١٤١) ينظر: الجواب الكافي، لابن القيم: ص ٤٢- ٤٤.

(١٤٢) سورة الأنعام، الآية ٤٤.

المصادر والمراجع

- **بعد القرآن الكريم**

١. الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٢. الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط٣، ١٤٠٩ه – ١٩٨٩م.

٣. أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر، بيروت– لبنان، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ)، قدم له وعلق عليه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.

٦. أعلام النبوة: أبو الحسن علي بن محمد، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط١، ١٤٠٩ هـ.

٧. أولى ما قيل في آيات التنزيل: رشيد الخطيب الموصلي (ت: ١٤٠٠ه)، اعتنى به: مجد أحمد مكي، دار أروقة.

٨. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٩. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

١٠. البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

١١. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، دراسة وتحقيق: عبد الكريم بن رسمي ال الدريني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

١٢. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق مرتضى الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٣. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر– تونس، ١٩٨٤هـ.

١٤. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت: ٥٤٤هـ)، تحقيق: ابن تاويت الطنجي وغيره، مطبعة فضالة– المحمدية، المغرب، ط١، ١٩٦٥–١٩٨٣م.

١٥. تفسير أسماء الله الحسنى، لعبد الرحمن بن ناصر آل سعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٢– السنة ٣٣ –١٤٢١هـ

١٦. تفسير الفاتحة والبقرة، لمحمد بن صالح بن العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٧. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١٨. تيسير التحرير، لمحمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه الحنفي (ت: ٩٧٢هـ)، مصطفى البابي الْحلَبِي– مصر، ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

١٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

٢٠. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

٢١. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه= صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٢. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية– القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

٢٣. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، السعادة–بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٢٤. الجواب الكافي: ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد- مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٩ ه.

٢٥. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن – دمشق، ط٢، ١٤٠٤ه.

٢٦. دلائل النبوة: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨

٢٧. الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري (ت: ١٤٢٧هـ)، دار الهلال- بيروت، ط١.

٢٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٩. روضة الأنوار في سيرة النبي المختار، لصفي الرحمن المباركفوري، السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط٦، ١٤٣٠ه.

٣٠. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٣١. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة ، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

٣٢. السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي أبي بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنات، ط٣، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٣. السياسة الشرعية: ابن تيمية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨ه.

٣٤. السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة.

٣٥. شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس ت ٢٣١ هـ): يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (ت: ٥٠٢هـ)، دار القلم – بيروت.

٣٦. شرح مختصر خليل للخرشي، لمحمد بن عبد الله الخرشي المالكي (ت: ١١٠١هـ)، دار الفكر- بيروت، (د. ط)، (د. ت).

٣٧. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ

٣٨. عيون الأخبار: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٨ ه.

٣٩. قاعدة في الصبر: ابن تيمية، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٦ – السنة ٣٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م

٤٠. قواعد قرآنية، لمحمد بن عبد الله بن محمد المقبل، مؤسسة مفاتح العلم الوقفية.

٤١. كتاب التعريفات، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤٢. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد- الرياض، ط١، ١٤٠٩ه.

٤٣. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة- بيروت.

٤٤. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣ – ١٤١٤ هـ

٤٥. مباحث في علوم القرآن، لمناع بن خليل القطان (ت: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٤٦. مجالس شهر رمضان: محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

٤٧. مجموع الفتاوى: ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

٤٨. مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي.

٤٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥٠. المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٥١. مختصر زاد المعاد: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت: ١٢٠٦هـ)، دار الريان للتراث – القاهرة، ط٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٥٢. مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ/٢٠٠٠م.

٥٣. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٥٤. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،لأحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، (ت: نحو ٧٧٠هـ)،المكتبة العلمية- بيروت.

٥٥. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٥٦. المغرب في ترتيب المعرب: ناصر بن عبد السيد أبى المكارم المُطَرِّزِىّ (ت: ٦١٠هـ)، دار الكتاب العربي، (د. ت)، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢

٥٧. مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٥٨. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية– دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٥٩. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري: حمزة محمد قاسم، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م

٦٠. المنهج الحركى للسيرة النبوية: منير محمد الغضبان (ت: ١٤٣٥هـ)، مكتبة المنار– الأردن – الزرقاء، ط٦، ١٤١١هـ/١٩٩٠ م.

٦١. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، لمحمد بن عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧هـ)، دار القلم، طبعة مزيدة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٦٢. إصلاح المنطق: ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت: ٢٤٤هـ)، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي.

٦٣. وحي القلم: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.